مادمت أنت معي ...

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

مادمت أنت معي، فلست بآسف ... إن فاتني شيء من الأشياء
حسبي من الدنيا جمالك مونقاً ... متفرداً بالسحر والإغراء
وشبابك الداني القطوف، وإن يكن
أنأى على غيري من الجوزاء

وربيعك البكر الذي لم تأته ... رؤيا خريف، أو خيال شتاء
وهوى بقلبك قد تغيأ ظله ... قلبي، ففاز بلذة النعماء
يا روح أحلامي الذي استودعته ... حبي، وكم من لهفتي، ورجائي
يا سر أشواقي الذي ناديته ... منذ انتفضتُ، بمهجتي ودمائي
يا نبع إلهامي الذي غنيته ... فشدا، وبارك فرحتي وغنائي
وبكيت فانتفض الحنان بقلبه ... دمعاً بوامي أدمعي وبكائي
يا نور أيامي الذي واقيته ... فانساب فجر منه في ظلمائي
أنت التي جعلت شبابي جنة ... قد أينعت بربيعك الوضاء
شرب الطيور بها فطار مرنماً ... خمر الهنا، وسلافه الأندى
الطير في أفنانها مترنم ... والزهر يرقص فوق صدر الماء
والنسمة العذراء تحمل خطوها ... نغما، كظل مليحة عذراء
أنت التي ملأت حياتي فرحة ... غنى بها قلبي أرق غناء
أنت التي ألهمتني شعر الهوى ... حتى سموت به على الشعراء
كنا معاً طفلين لا ندري الهوى ... إلا حنيناً مبهم الأسداء
ومضى الزمان بنا يصوغ شبابنا ... في قدرة وبراعة وخفاء
حتى انتفضتُ على سباية آدم ... وأفقتِ أنت على هوى حواء
فعرفت أن الحب أشمل في دمي ... لهباً، وشب النار في أحشائي
وسألتني عن سره ببراءة ... فأجبتُ: تلك طبيعة الأحياء!
ومضى الزمان بنا، فكان زماننا ... سحر الحياة وروعة الأشياء
وعلى يديك شربت من خمر الهوى ... ناراً تحنُّ لسمها أعضائي
كان الحياء يذودني عن شربها ... حيناً، وحيناً لا يذود حيائي
وعلى يديك شربت من خمر الهوى ... نوراً أطير به إلى العلياء
وعلى يديك عرفت أسرار الصبا ... عند الثواني عن سر بقائي
كم ذا تلاقينا، فكان لقاؤنا ... من لوعة الحرمان خير شفاء
تجني ونقطف ما نريد ونشتهي ... في غفلة عن أعين الرقباء
ونظل نبدع ما نشاء من الملى ... في ظل تلك الجنة الفيحاء
حتى إذا حان الفراق تفجرت ... في القلب نار كآبتي وشقائي
ومضيت عنك، ومل نفسي لوعة ... أخفي ظواهرها على قرنائي
وتملتيك مدامع حيرانة ... بين الظهور، وبين الاستخفاء
وعلى يديك ضراعة ملهوفة ... كضراعة الظمآن في الصحراء
أحيا بعيد الدار، يملأ عالمي ... تجزَعُ النوى، وكآبة الغرباء
تهفو إليك نوازعي ومدامعي ... فيردها هذا المدى المتنائي
وأراك في قلبي خيالا ماثلا ... يبكي معي في وحدتي الخرساء
وأراك في أفق الخيال حمامة ... حامت على نبع من الأضواء
فيكاد يقتلني الحنين، وقد مشى ... ناراً على كبدي، وفي أحشائي
ويظل يحلم بالتقاء وعطره ... قلبي، ولكن لات حين لقاء!
ومضى الزمان بنا، فجمع شملنا ... في عشنا المتآلق الأجواء
نحيا به إلفين في ظل الهوى ... وعلى رُبا جناته الخضراء
تتألق الآمال ملء شبابنا ... كتألق الزهرات في القمراء
وترفرف الأفراح في أيامنا ... مثل الفراش بروضة غناء
حتى إذا ذهب الشباب، وماؤه ... وهج الحياة، وجذوة الأهواء
وبدا الشتاء كأنما ثارت به ... أيدي الزمان، فضج بالأنواء
لفّتنا بدفء من حنان خالص ... ومودة روحية وإخاء
وبذكريات عذبة تحيى لنا ... لذات أيام الشباب الثاني
وتظل أيامُ المشيب حياتنا ... بسعادة رفافة الأفياء
وبآلفة نسج الزمان خيوطها ... من روحنا في قوة ومضاء
فنظل طول العمر يغمر حبنا ... أيامنا بسكينة وصفاء
حتى إذا انقضت الحياة ... حياتنا ... ودعا الفناء بنا على استحياء
طرنا معاً في عالم نحيا به ... روحين من أرواحه السعداء
أيامنا فيه ربيع دائم ... وشبابنا فيه لغير فناء

(الاسكندرية)

ابراهيم محمد نجا